Al-Dirasat Al-Islamiyyah (Islamabad) 24:4 (1989

حقيقة الفكر الفلسفى الاسلامى

حسن الحيارى

ان كلمة فلسفة مستمدة من اللغة اللاتينية، وهى تعنى الرغبة فى البحث من أجل اكتشاف الحقائق ، ومناقشة هذه المعلومات وتقييمها، ثم جمع المعلومات التى تدور حول الانسان والكون بطريقة يسهل فهمها وتقييمها، والاعتقاد الفكرى والسلوك العملى وفق ما تمّ التوصل اليه من حقائق .

وقبل أن نتطرق الى الفلسفات المختلفة من حيث التاريخ ، والمبادئ الأساسية ، وأشهر زعماء كل فلسفة ، لابد أن ننوه بعدد من الأبحاث الفلسفية بعد أن نتعرض الى التعريفات المختلفة للفلسفة .

الفلسفة عند افلاطون : ـ

,,الفلسفة هى التشبه بالاله بقدر الطاقة الانسانية ،، (١).

الفلسفة عند ارسطو : ـ

,,الفلسفة تبحث فى طبيعة الوجود كما هو،، (٢).

الفلسفة عند الكندى : ـ

,,يعد الكندى من الفلاسفة البارزين فى تاريخ الفكر الفلسفى

© Dr Muhammad Hamidullah Library, IIU, Islamabad. http://iri.iiu.edu.pk/

الاسلامى ذلك انه أول فيلسوف عربى مسلم وقف على الفلسفة اليونانية وأفاد منها ، وحاول أن يلبسها ثوبا اسلاميا خالصا، ذلك ان الرجل مع اعجابه الكبير بالفلسفة اليونانية ، الا ان ايمانه بالدين الاسلامى كان أكبر بكثير من اعجابه بالفلسفة اليونانية » (٣).

,,وقد عرف الكندى الفلسفة بأنها البحث ، او ان شئت النظر العقلى الخالص الذى يهدف الى كشف الحقيقة والوصول اليها» (٤).

كما ان الكندى وضع حدا للفلسفة حينما قال ,,ان اعلى الصناعات الانسانية منزلة، واشرفها مرتبة صناعة الفلسفة التى حدها، علم الاشياء بحقائقها بقدر طاقة الانسان ، لان غرض الفيلسوف فى علمه اصابة الحق وفى عمله العمل بالحق » (٥) .

الفلسفة عندالفارابى : ـ

يقول الفارابى فى كتابه ,,الجمع بين الحكيمين » .

,,ان الفلسفة حدها وماهيتها انها العلم بالموجودات بما هى موجودة » (٦).

الفلسفة عند اخوان الصفا : ـ

,,الفلسفة أولها محبة العلوم وأوسطها معرفة حقائق الموجودات بحسب الطاقة الانسانية ، وآخرها القول والعمل بما يوافق العلم » (٧) .

الفلسفة عند الشيرازى : ـ

,,اعلم ان الفلسفة استكمال النفس الانسانية بمعرفة حقائق الموجودات على ما هى عليها ، والحكم بوجودها تحقيقا بالبراهين لا اخذا بالظن والتقليد بقدر الوسع الانسانى » (٨).

الفلسفة عند ابن حزم : ـ

يقول فى كتابه ,,الفصل فى الملل والنحل »:,,الفلسفة على الحقيقة ، انما معناها وثمرتها والغرض المقصود نحوه بتعلمها ، ليس هو

شيئا غير اصلاح النفس بأن تُستعمل فى دنيا الفضائل وحسن السيرة المؤدية الى سلامتها فى المعاد ، وحسن سياستها للمنزل والرعية وهذا نفسه ، لاغيره ، هوالغرض فى الشريعة ، هذاما لا خلاف فيه بين أحد من العلماء بالفلسفة ولا بين أحد من العلماء بالشريعة ،، (٩).

الفلسفة عند الطباطبائى : ـ

,,الفلسفة هى البحث الذى يهدف الى اثبات الوجـود الحقيقـى للأشياء، وتشخيص علل وأسباب وكيفية ومرتبة وجودها ،، (١٠).

الفلسفة عند مغنية : ـ

,,اما الفلسفة فهى العلم الوحيد الذى يبحث فى الوجود مجردا عن كل قيد ، وبقطع النظر عن كونه طبيعيا او غير طبيعى ،، (١١).

الفلسفة عند Webester :ـ

,,الفلسفة هى حب الحكمة ، والعلم الذى يبحث عن الحقائـق وأساسيتها ، وعن طبيعة الانسان واتجاهاته ،، (١٢).

الفلسفة عند Zeigler : ـ

,,انها العلم الذى يبحث عن الحقائق ، وعن أساسيات الحقيقة ومشكلاتها لمحاولة وصف تلك الحقائق وتحليلها وتقييمها ،، (١٣).

الغاية من الفلسفة : ـ

يقول ابن حزم ان الغرض المقصود من تعلم الفلسفة ،هو ,,اصلاح النفس بأن تستعمل فى دنيا الفضائل وحسن السيـرة المـؤدية الـى سلامتها فى المعاد، وحسن سياستها للمنزل والرعية وهذا هو نفسـه الغرض من الشريعة ،، (١٤).

,,ان فى علم الأشياء بحقائقها ، علم الربوبية ، وعلم الوحدانية ، وعلم الفضيلة ، وجملة علم كل نافع والسبيل اليه والبعد عن كل ضار ، والاحتراس منه، واقتناء هذه جميعا هو الذىاتت به الرسل الصادقة عن

الله جل ثناؤه فان الرسل الصادقة صلوات الله عليها انما أتت بالاقرار بربوبية الله وحده وبلزوم الفضائل المرتضاة عنده وترک الرذائل المضادة للفضائل فى ذواتها وايثارها » (١٥).

بعد أن أشرنا الى التعريفات المتعددة للفلسفة ، وما انطوت عليه من أفكار متقاربة ومتضاربة ، فاننا نستطيع أن نقول بأن الهدف الأسمى من الفلسفة هو الوصول الى حقائق ومواطن الأمور او الأشياء ، ومن ثم التصرف والسلوک فى ضوء ذلک ، فالأساس الأول هو الوصول الى حقائق الامور والاشياء، بغض النظر عن السبل والطرائق المتبعة ، والأساس الثانى يتجسد فى الالتزام الفكرى والسلوكى فى ضوء تلک الحقائق التى تم الوصول اليها ، واذا لم يأخذ الأساس الثانى مكانه فان البحث عن الحقيقة يعتبر مضيعة للوقت ونوعا من انواع العبث الذى يجب أن يبتعد عنها كل ذى لب وجنان ، وهذا يشير الى ان معرفة الحقيقة وعدم الالتزام بها مهما كلف الامر ، يعنى ان معرفة الحقيقة وعدمها سيان .

وفى ضوء ما تقدم يمكننا أن نقول بأن الوصول الى الحقائق يمكن أن يكون من خلال مصدرين . فالمصدر الاول ، هو كل ما يستطيع أن يعرفه الانسان من حقائق عن طريق الهدىٰ والنور السماوى الذى وعدنا الله به، لكى لا يكون للناس على الله حجة، فبهذا الهدىٰ والنور بعث الله الانبياء والمرسلين لبنى البشر، اما بالنسبة الى المصدر الثانى فهو كل ما توصل اليه البشر من معرفة حقائق .

ولذلک فان الفكر الفلسفى على هذا الأساس يمكن أن يقسم الى شطرين ، الشطر الاول ، الفكر الفلسفى الاسلامى ، والشطر الثانى ، الفكر الفلسفى البشرى .

الفكر الفلسفى البشرى : ـ

يعد الفكر الفلسفى البشرى نتاج الفلاسفة الذين قد صرفوا جزءً كبيرا من حياتهم لدراسة حقول العلم والتوسع فى المعرفة من أجل تأهيل أنفسهم للبحث عن الحقيقة .

وقد استطاع الفلاسفة أن ينسجوا فكرا فلسفيا متعددا ليؤدى الى ولادة عدة مدارس فلسفية ، وسوف نتعرض الى هذه الفلسفات بايجاز .

الفلسفة الطبيعية (NATURALISM) :—

وهى تعد من أقدم الفلسفات البشرية ظهورا ، حيث يرجع تاريخها الى القرن السادس قبل الميلاد، على يد فلاسفة ملسان (Milesian Philosophers) الذين كانوا يقطنون فى شرق تركيا، ويعد ثالس زعيم هؤلاء الفلاسفة ، وهو الذى صرّح بضرورة الماء لكل شىء. ويعتبر الفيلسوف الفرنسى جان جاك روسو (Jean Jacoues Rousseau) رائد هذه الفلسفة ، ومن أهم مبادئ هذه الفلسفة : ـ

١. الشىء الوحيد الحقيقى فى هذا الكون الطبيعة .
٢. الطبيعة هى مفتاح الحياة ، وان كل شئ نعمله هو جزء من الطبيعة .
٣. كل شىء فى هذه الحياة يتحرك حسب قوانين الطبيعة .
٤ . الطبيعة لاتتغير لذلك يمكن الاعتماد عليها .
٥. ان كل فرد يعد أهم من المجتمع فعلى ضوء ذلك فان اهداف المجتمع تعتبر ثانوية اذا ما قورنت بأهداف الفرد (١٦) .

الفلسفة المثالية (IDEALISM)

يعد سقراط (Socrates. 469—399 B. C.) أول من بحث فى الفلسفة المثالية ، الا أن هذه الفلسفة تقترن باسم افلاطون (Plato, 427—347. B. C) لأنه هو الذى دونها ورتبها بشكل مفصل ، ومن

اهم مبادىء الفلسفة المثالية : ـ

١. جميع الأشياء الحقيقية تأتى من العقل .

٢. ان الانسان يترجم ويحلل كل شيء بواسطة العقل .

٣. وجود الانسان فى هذه الحياة يرتكز تماما على العقل .

٤ . ان القيم الخلقية لا تتأثر بسلوك الافراد حيث انها ثابتة لا تتغير حسب الظروف .

٥. ان الانسان أهم من الطبيعة .

٦. ان الانسان لديه الحرية فى أن يختار بين الصواب والخطأ .

٧. العقل يعد القوة الرئيسية التى تساعد الفرد لكشف أسرار الكون.(١٧)

الفلسفة الواقعية (REALISM):

يعد ارسطو (Aristotle, 384 — 322 B.C.) زعيم الفلسفة الواقعية ، كما انه من أحد تلامذة افلاطون ، ومن أهم مبادئ هذه الفلسفة :ـ

ان العالم جزء من الطبيعة ويمكن التعرف على أسراره عن طريق الأحاسيس والخبرات .

٢. جميع الأشياء المادية التى تحدث فى هذا العالم تعتمد على القوانين الطبيعية.

٣. يمكن للانسان معرفة الحقيقة عن طريق الأسلوب العلمى علما بأن الانسان لايستطيع أن يعرف كل شيء .

٤. لا يمكن فصل العقل عن الجسم ، كما انه لا يوجد أى سيطرة لأحدهما على الآخر ولكن هناك علاقه منسجمة بين الاثنين .

٥. الفلسفة المثالية والواقعية تجيزان تواجد الدين والفلسفة مع بعضها البعض (١٨).

الفلسفة النفعية ، البراجماتية (PRAGMATISM):ـ

ان هذه الفلسفة تُعد المشاركة الامريكية الجادة فى الفكر الفلسفى،

ويعود الفضل فى هذا العمل الفلسفى الى كل من : ـ

١. تشارلز بيرس (Charles S. Perice - 1839 - 1914)
٢. وليم جيمس (William James - 1842 - 1910)
٣. جون ديوى (John Dewey - 1859 - 1952)

ومن أهم مبادئ هذه الفلسفة : ـ

١. كل شيء فى هـذه الحياة قابل للتغير ما عدا الموت حيث ان الصفة السائدة لكل شيء هو التغيير .

٢. كل فرد يعد جزء من المجتمع وله دور معين فيه ، وان تصرفات الفرد تؤثر فى المجتمع .

٣. أهداف الأفراد وأهداف المجتمع يجب أن تكون فى خط واتجاه واحد .

٤. ان الطريقة المثلى لمعرفة قيمة النظرية والحكم على الحقيقة هو البرهان عن طريق العمل فاذا ثبت نجاحه فان القيمة تعطى على هذا الأساس (١٩).

الفلسفة الوجودية (EXISTENTIALISM):

ان الفكر الفلسفى الوجودى برز الى حيز الوجود على يد العالم الدنماركى (Soren Kierkegaard, 1813 — 1855) ومن زعماء هذه المدرسة الفيلسوف الالمانـى المعاصـر (Martin Heidegger , 1889 — 1976) ومـن أشهر زعماء هذه الفلسفة الفيلسوف الشهير سارتر (Jean — Paul Sartere)

ومن اهم المبادئ الأساسية لهذه الفلسفة مايلى : ـ

١. ان الوجود الانسانى هو الحقيقة الوحيدة فى هذا الكون .

٢. كل انسان له الحق أن يحدد القيم الحياتية لنفسه .

٣. يعد الفرد أهم من المجتمع ، لذلك يجب أن يكون التركيز على أهداف الفرد أولا .

٤. ان الاشياء السيئة لايمكن تغييرها (٢٠).

الفلسفة الشيوعية (COMMUNISM)

هى مفهوم مادى للحياة بطريقة ديالكتكية (جدلية)، ومن زعماء هذه الفلسفة لينين (Lenin. 1870 — 1924) وستالين (Stalin, 1879 — 1953) ، ومن أشهر رواد هذه الفلسفة الفيلسوف الالمانى الشهير كارل ماركس (1818 — 1883) ومن أبرز مذاهب هذه الفلسفة المذهب الاشتراكى .

ولكن عندما استطاع زعماء هذه الفلسفة الوصول الى السلطة على اثر الثورة البلشفية سنة ١٩١٧ وحاولوا جاهدين تطبيق الفكر الفلسفى الشيوعى لم يتسنّ لهم ذلك للتعارض الواضح بين الفكر المراد تطبيقة من جهة ، والنزعات والدوافع الانسانية الفردية من جهة اخرى ، لذلك كان لا بد من اقامة نظام اشتراكى مرحلى ، حتى يتم تطوير الانسانية من حيث الدوافع والنزعات والأفكار الفردية ، لتصبح دوافع ونزعات، وأفكارا جماعية بعد الانتهاء من المرحلة الاشتراكية، ومن ثم ستطبق المبادئ الشيوعية بالكامل .

الفكر الفلسفى الاسلامى : ـ

مقدمة:

قبل أن نتطرق الى تاريخ الفلسفة الاسلامية، والتعرف الى حقيقتها وماهيتها، لابد من الالتفات الى ما قاله الفلاسفة والمفكرون حول الفلسفة الاسلامية .

يقول المستشرق جوتيه ، أستاذ تاريخ الفلسفة الاسلامية فى الجزائر : ,,ان الفلسفة اليونانية هى التى ساقت فلاسفة الاسلام الى هذا الاتجاه ، وهى كانت مستمد عناصره، ذلك بأن فكرة التوفيق بين الفلسفة والدين هى فكرة مزج واتصال ، وليس غير التفكير الآرى لمحاولة الاتصال بوسائط متدرجة فى سلسلة متتابعة بين ضدين هما :

الاسلام دين الفصل ، وفلسفة الوصل اليونانية ،، (٢١).

يقول ابن سينا فى مقدمة كتابه ,,منطق المشرقيين ،، : ,,تحكم ارسطو والمشائين فى عقول المتفلسفة الاسلامية ،، (٢٢).

,,وليس بين العلماء نزاع فى أن الفلسفة الاسلامية متأثرة بالفلسفة اليونانية ومذاهب الهند ، وآراء الفرس ، ولعل هذا هو الذى يجعل الباحثين فى تاريخ التفكير الاسلامى ، والفلسفة الاسلامية من الغربيين ، يقصدون فى دراستهم الى استخلاص العناصر الاجنبية التى قامت الفلسفة الاسلامية على أساسها ، او تأثرت بها فى أدوارها المختلفة ، يجعلون ذلك همهم ، ويتحرون على الخصوص اظهار أثر الفكر اليونانى فى التفكير الاسلامى واضحا قويا،، (٢٣).

يقول الدكتور حسام الدين الآلوسى : ,,ان التأثير اليونانى فى الفلسفة الاسلامية، هو تأثير من جانب المدرسة المثالية اليونانية فقط ، ذلك اننى لا أعرف حسب علمى فيلسوفا او متكلما اسلاميا واحدا منتميا كليا الى الفلسفة المادية الخالصة ، او بمعنى آخر لا يؤمن بوجود الله، وإن كان بعضهم مثل الرازى وأبى العلاء لا يعتقدون بالنبوات أو ان بعضهم ينكر العالم الآخر مثل ابن رشد او ينكر البعث الجسدى ـ مثل سائر الفلاسفة ،، (٢٤).

يقول تنمان فى كتابه ,,المختصر فى تاريخ الفلسفة،، معبرا عن رأى لمؤرخى الفلسفة فى الفلسفة الاسلامية : ,,يكاد يكون ارسطو من بين سائر الفلاسفة الذى استرعى انظار العرب وقد تلقوا جملة ما الفه ارسطو ولكنهم تلقوها على الحقيقة عن تراجم ناقصة جدا بوساطة خادعة هى وساطة المذهب الافلاطونى الجديد، واضافوا الى هذا دراسة العلوم الرياضية والتاريخ الطبيعى والطب . لكن عدة عقبات ثبطت تقدمهم فى الفلسفة ، وهذه العقبات هى :

١. كتابهم المقدس الذى يعوق النظر العقلى الحر .
٢. حزب أهل السنة ، وهو حزب مستمسك بالنصوص .
٣. انهم لم يلبثوا أن جعلوا لارسطو سلطانا مستبدا على عقولهم ، ذلك الى ما يقوم دون حسن تفهمهم لمذهبه من الصعوبات .
٤. ما فى طبيعتهم القومية مـــن ميل الى التأثر بالأوهام من أجل ذلك لم يستطيعوا أن يصنعوا أكثر من شرحهم لمذهب ارسطو وتطبيقه على قواعد دينهم الذى يتطلب ايمانا أعمى ، وكثيرا ما اضعفوا مذهب ارسطو وشوّهوه، وبذلك نشأت بينهم فلسفة تشبه فلسفة الأمم المسيحية فى القرون الوسطى ، تعنى بالبراهين الجدلية التعسفية ، وتقوم على أساس من النصوص الدينية ،، (٢٥).

قـال كوزان الفيلسـوف الفرنســى المتوفــى سنة ١٨٤٧ م فى محاضراته فى تاريخ الفلسفة بجامعة باريس :

,,المسيحية التى هى آخر ما ظهر على الارض من الاديان ، هى أيضا اكملها .

والمسيحية تمام كل دين سابق ، وغاية الثمرات التى تمخضـت عنها الحركات الدينية فى العالم وبها ختمت .

الدين المسيحى ناسـخ لجميـع الاديـان ... كذلك كان الديـن المسيجى انسانيا واجتماعيا الى أقصى الغايات ، ومن أراد دليلا فلينظر ماذا أخرجت المسيحية وجماعة المسيحيين للناس : أخرجت الحرية الحديثة والحكومات النيابية ، ثم لينظر من دون المسيحية ما أخرجت منذ عشرين قرنا سائر الاديان ، ماذا انتج الديـن البرهمـى والديـن الاسلامى ، وسائر الاديان التى لا تزال قائمة فوق ظهر الارض ؟ .

أنتج بعضها انحلالا موغلا ، وبعضها أثمر استبدادا ليس له مدى ، اما اوروبا المسيحية فهى ـ لا سواها ـ مهد الحرية، ولو أن المقام

والوقت يسعفان ، لاثبت لكم ان المسيحية التى كانت الحكومات النيابية ثمرة لها هى التى تستطيع وحدها أن تقيم هذه الصورة العجيبة من صور الحكم التى تؤلف بين النظام والحرية ، والمسيحية أيضا هى التى بعد أن صانت ذخائر الفنون والآداب والعلوم بعثتها بعثا قويا ، المسيحية هى أصل الفلسفة الحديثة،، (٢٦).

يقول الخوارزمى المتوفى سنة ٣٨٣ هـ (٩٩٣ م) فى كتاب ,,مفيد العلوم ومبيد الهموم،، فى الباب الثالث فى الرد على الفلاسفة : ,,هم قوم من اليونانيين تحذلقوا فى المعقولات حتى وقعوا فى وادى الحيرة والخباط، وتحيروا فى الالٰهيات ، وبنوا مقالاتهم على التشهى المحض والدعاوى الصرف، يزعمون انهم اكيس خلق الله، وسياق مذهبهم يدل على أنهم أجهل خلق وأحمق الناس ، وأساس الالحاد والزندقة مبنى على مذهبهم ، والكفر كله شعبة من شعبهم ، وكانوا يترهبون لقطع النسل ، ورئيسهم افلاطون الملحد ، لعنه الله ، قال لموسىٰ ابن عمران رسول الله وكليمه: كل شىء تقوله اصدقك فيه الا قولك الحق : وكلمنى علة العلل ،، ، انظر الى اعتقاد هذا الخبيث كان يكذب رسول الله ويعتقد ان الله تعالى لا كلام له البتة ،، (٢٧).

قال الجاحظ فى الفلسفة مادحا: ,,الفلسفة اداة الضمائر، وآلة الخواطر، ونتائج العقل ، وأداة لمعرفة الاجناس والعناصر ، وعلم الأعراض والجواهر، وعلل الأشخاص والصور واختلاف الاخلاق والطبائع والسجايا والغرائز،، (٢٨).

وقال فى باب الذم: ,,الفلسفة كلام مترجم وعلم مرجم، بعيد مداه قليل جدواه، فخوف على صاحبة سطوة الملوك وعداوة العامة ،، (٢٩).

والغزالى المتوفى سنة ٥٠٥ هـ(١١١١م) يقول فى كتابه تهافت الفلاسفة : ,,ان الخلاف بينهم وبين غيرهم من الفرق ثلاثة أقسام :

قسم يرجع النزاع فيه الى اللفظ، وقسم يصدم مذهبهم فيه أصلا من أصول الدين ، والقسم الثالث ما يتعلق النزاع فيه بأصل من أصول الدين ، كالقول فى حدوث العالم وصفات الصانع وبيان حشر الاجساد والابدان، فهذا الغش ونظائره هو الذى ينبغى أن يظهر فساد مذهبهم فيه دون ما عداه،، (٣٠).

ويقول الشيخ محمد عبده فى ,,رسالة التوحيد،، فى وصف موقف رجال الدين من الفلاسفة منذ عهد الغزالى : ,,وجاء الغزالى ومن على طريقته فأخذوا جميع ما وجد فى كتب الفلاسفة مما يتعلق بالالٰهيات ، وما يتصل بها من الامور العامة او احكام الجواهر والاعراض ، ومذاهبهم فى المادة وتركيب الاجسام ، وجميع ما ظنه المشتغلون بالكلام شيئا من مبانى الدين ، واشتدوا فى نقده ، وبالغ المتأخرون منهم حتى كاد يصل بهم السير الى ما وراء الاعتدال،، (٣١).

ويقول المولى احمد بن مصطفى المعروف بطاش كبرى زاده المتوفى سنة ٩٦٢هـ (١٥٥٥ م) فى كتاب ,,مفتاح السعادة ومصباح السيادة،، ,,ان كل ما خالف الشرع فهو مذموم، بينما طائفة سموا أنفسهم حكماء الاسلام عكفوا على دراسة ترهات اهل الضلال وسموها الحكمة، وربما استجهلوا من عُرّى عنها، وهم أعداء الله وأعداء أنبيائه ورسله، المحرفون كلم الشريعة عن مواضعه ، ولا تكاد تلقى أحدا منهم يحفظ قرآنا ولا حديثا ، وانما يتجملون برسوم الشريعة حذرا من تسلط المسلمين عليهم والا فهم لا يعتقدون شيئا من أحكام الشرع بل يريدون أن يهدموا قواعده وينقضوا عراه عروة عروة،، (٣٢).

ويقول صاحب كتاب ,,الدر المختار شرح تنوير الابصار ،، علاء الدين محمد بن على الحصكى المتوفى سنة ١٠٨٨هـ(١٦٧٧م): ,,واعلم أن تعلم العلم يكون فرض عين ، وهو بقدر ما يحتاج لدينه ،

وفرض كفاية، وهو ما زاد عليه لنفع غيره، ومندوبا وهو التبحر فى الفقه وعلم القلب، وحراما، وهو علم الفلسفة والشعوذه والتنجيم والرمل وعلوم الطبائع والسحر والكهانة،، (٣٣).

ماهية الفلسفة الاسلامية : ـ

بعد أن القينا بعض الضوء على أقوال بعض المستشرقين ، وأقوال بعض الفلاسفة المسلمين ، وآراء رجال الدين حول المفهوم الفلسفى بشكل عام، والمفهوم الفلسفى الاسلامى بشكل خاص ، وجدنا أن هناك تفاوتا كبيرا بين هذه الآراء المتعددة حول الفكر الفلسفى الاسلامى ، فهناك آراء تقول بأن الفلسفة الاسلامية تأثرت بشكل مباشر وكبير بالفلسفة اليونانية، وبالذات الفلسفة المثالية والفلسفة الارسطية ، كما ان هناك آراء تقول بأن الفلاسفة اليونانيين قد تحكموا بعقول الفلاسفة المسلمين حيث ان الفلسفة الاسلامية هى فلسفة يونانية بطابع اسلامى ، وهناك رأى رجال الدين الذين عدّوا الفلاسفة أساسا للفكر والالحاد بسبب الامور المتناقضة التى جاءبها هؤلاء الفلاسفة سواء أكان التناقض مع تعاليم السماء الحقة ، أم كان التناقض بين بعضهم البعض .

اننا قبل ان نخوض فى تحديد معالم الفلسفة الاسلامية، او الفكر الفلسفى الاسلامى ،لا بد ان نُميز بين الفكر الفلسفى الاسلامى والفكر الفلسفى البشرى من حيث السبل التى تُتبع فى التعرف على حقائق الاشياء ومكنوناتها، اما بالنسبة الى الفكر الفلسفى الاسلامى ، فانه يعتمد على الوحى فى معرفة الحقائق المتعلقة بجميع الأمور المتعلقة بالمعضلات العاتية التى واجهت الانسان منذ فجر التاريخ حتى يرث الله الارض ومن عليها، هذا فى الوقت الذى تعتمد فيه الفلسفات البشرية فى الوصول الى الحقيقة على العقل بالرغم من ان المعرفة

التامة عند جميع المفكرين والفلاسفة بأن العقل قاصر عن معرفة جميع الحقائق وبالذات الحقائق التى تتصل بالأمور الغيبية .

,,فاذا كان كانت (Kant) قد هدف من الحديث عن نقائض العقل الى بيان أن العقل يثبت الشىءونقيضه فى وقت واحد ومن جهة واحدة، وهذا دليل على عجزه وقصوره اذا اقتحم بعض الميادين التى لا ينبغى له أن يقحم نفسه فيها، فان الغزالى أيضا قد هدف الى ذلك من قبل بعدة قرون، فمقاصد الفلاسفة بالاضافة الى تهافت الفلاسفة ينتج لنا نقدا رائعا للعقل الخالص والغزالى فى هذين الكتابين، اثبت الشىء ونقيضه فى وقت واحد ومن جهة واحدة ، وهذا دليل على قصور العقل وعجزه كما فعل كانت ،، (٣٤).

يقول ديكارت فى كتاب التأملات : ,,... انما مرجع خطىء هذا الى ما منحنى الله من قوة على تمييز الصواب من الخطأ ، هى عندى قوة متناهية محدودة ... لا ريب انه ليس لدى من داع للشكوى من ان الله يهبنى ذكاء اوسع او نورا فطريا اكمل ، مما وهبنى مادام من طبيعة الذهن المتناهى الا يكون محيطا بأشياء كثيرة، ومن طبيعة الذهن المخلوق ان يكون متناهيا،، (٣٥) .

ومن احدى النتائج التى وصل اليها كانت : ,,ان موضوعات الميتافيزيقا لا يمكن أن توجد فيها معرفة عقلية صحيحة، لا على أساس الأحكام التركيبية الاولية ولا على أساس الأحكام التركيبية الثانوية،، (٣٦).

ان الذى ينشد الحقيقة لذاتها والتفىء بظلالها والسلوك على نورها يجب ان لايلتفت الى السبيل التى توصل الى الحقيقة طالما انه يقصد الوصول الى الحقيقة ، اما الاصرار على سبيل واحدة دون غيرها فى الوصول الى الحقيقة فهذا نوع من الجدال والمناورة بقصد الوصول أو

تحقيق غايات معينة تجول فى النفس ، وهذا هو بعينه التحيز الذى يطمس الحقيقة والسبل المؤدية اليها .

ويبدو بوضوح النقص والضعف فى العقل البشرى للقارئ عند التبصر فى المدارس الفلسفية البشرية من حيث التناقض والاختلاف حول اغلب الامور التى تم بحثها فلسفيا، ففى الوقت الذى توصل فيه العقل الى وجود الله، بالاضافة الى وجود كون آخر غير الذى نحسه بأحاسيسنا، فاننا نجد نفس العقل البشرى ينكر وجود الله وكون آخر غير الذى نراه، هذا الذى جاءت به المدارس الفلسفية البشرية: الشىء ونقيضه .

كما لا بد من الاشارة الى أن معرفة الحقيقة وعدمها فى ضوء الفلسفة البشرية سواء من حيث التأثير على سلوك الانسان واعداده التربوى العام، فأين الفارق بين الانسان الذى يعتقد بوجود الله وكون آخر غير الذى نحسه فى ضوء الفلسفة المثالية : والانسان الذى ينكر وجودهما فى ضوء الفلسفة الشيوعية والوجودية ؟ اذا لم يكن هناك فرق فارع بينهما ويظهر ذلك على سلوك الانسان ، فان معرفة الحقيقة وعدمها تؤدى الى نفس الهدف ، وهنا يتشكل فى أذهان البشر بأن كل من يبحث عن الحقيقة يعد مغفلا جاهلا، لأنه يضيع وقته من أجل لاشىء، فقط من أجل ان يتساوى سلوكا وعملا مع الذى لا يعرف الحقيقة ، وهذا طبعا محال أن يتساوى الذى يعرف الحقيقة ويسلك فى ضوئها والانسان الذى يجهل الحقيقة ويمضى فى ضوء ذلك .

بعد ان أشرنا الى أن الفكر الفلسفى الاسلامى يعتمد على مصدر الوحى ، لا بد من الاشارة الى أن هناك فرقا كبيرا بين الفكر الفلسفى الاسلامى كدين سماوى جاء بالحقائق الثابتة الدامغة لكل ما يلزم البشرية من أن تحيا فى ضوء الحكمة والنور والهدى فى الدارين

الاولى والآخرة، وبين الأبحاث الفلسفية التى قام بها اناس ينتسبون للاسلام مع العلم بأن اغلب هذه الابحاث تجاوزت حدود الفكر الفلسفى الاسلامى السامق، بل تجاوزت المعلومات الصادقة الثابتة التى يفيض بها الفكر الفلسفى الاسلامى ، فمنهم من أنكر البعث والحساب ، ومنهم من أنكر الحشر الجسدى مع الروح ، والى غيرها من الامور البالغة الخطورة، حيث ابتعد قسم من هؤلاء الفلاسفة البعد كله عن الحقائق الجمة الوفيرة التى يفيض بها الفكر الفلسفى الاسلامى .

ان أول حقيقة بسقت عن الفكر الفلسفى الاسلامى هى خلق آدم عليه السلام ، ويبدوا ذلك بجلاء فى قوله تعالى :

ولقد خلقنٰكم ثم صوّرنٰكم ثم قلنا للملٰئٖكة اسجدوا لأٰدم فسجدوآ الآ ابليس لم يكن من السّٰجدين (٣٧).

قال تعالى :

اذ قال ربّک للملٰئٖكة انّى خالق بشرا مّن طين . فاذا سوّيته ونفخت فيه من روحى فقعوا له سٰجدين (٣٨).

اما بالنسبة الى الحقيقة الثانية التى صدعت بها الفلسفة الاسلامية، فهى العداوة الأبدية التى توعد وتهدد بها الشيطان آدم وذريته .

قال تعالى :

قال يآ ابليس مامنعک ان تسجد لما خلقت بيدىّ استكبرت ام كنت من العالين . قال انا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين . قال فاخرج منها فانّک رجيم . وانّ عليک لعنتىّ الى يوم الدين . قال ربّ فأنظرنى الى يوم يبعثون . قال فانّک من المنظرين . الى يوم الوقت المعلوم . قال فبعزّتک لأغوينّهم اجمعين . الا عبادک منهم المخلصين (٣٩).

قال تعالى :

فقلنا يٰآدم انّ هذا عدوّلک ولزوجک فلا يخرجنّكما من الجنّة فتشقىٰ (٤٠).

قال تعالى :

واذ قلنا للملٰئكة اسجدوا لأدم فسجدوآ الا ابليس قال ءاسجد لمن خلقت طينا . قال أرءيتک هذا الذى كرّمت علىّ لئن أخرتن الى يوم القيٰمة لأحتنكنّ ذرّيّته الا قليلا . قال اذهب فمن تبعک منهم فان جهنّم جزآؤكم جزآء موفورا . واستفزز من استطعت منهم بصوتک واجلب عليهم بخيلک ورجلک وشاركهم فى الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطٰن الا غروراً . انّ عبادى ليس لک عليهم سلطٰن وكفىٰ بربّک وكيلا (٤١).

واذ قلنا للملٰئكة اسجدوا لأدم فسجدوآ الا ابليس كان من الجنّ ففسق عن امر ربه افتتّخذونه و ذرّيّته أولياآء من دونى وهم لكم عدوّ بئس للظالمين بدلا (٤٢).

قال تعالى :

قال مامنعک الاّ تسجد اذ امرتک قال أنا خير منه خلقتنى من نّار وخلقته من طين . قال فاهبط منها فما يكون لک أن تتكبّر فيها فاخرج انّک من الصّٰغرين . قال أنظرنى الى يوم يبعثون . قال انّک من المنظرين . قال فبمآ أغويتنى لأقعدنّ لهم صراطک المستقيم . ثم لأتينّهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمآئلهم ولا تجد أكثرهم شٰكرين(٤٣).

وعندما ابتعد آدم عن الحقيقة الثانية وهى عداوة الشيطان له ، حيث وقع فى شراک الشيطان عندما أتى الشجرة التى أُمر أن لا

يقربها، تبين له احقية هذه الحقيقة الناصعة البياض ، وهى عداوة الشيطان الأبدية الى آدم وذريته ، ويبدو ذلك بوضوح فى قوله عز من قائل .

قال تعالى :

ويآدم اسكن انت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولاتقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين . فوسوس لهما الشيطن ليبدى لهما ماؤرى عنهما من سوءاتهما وقال مانهكما ربّكما عن هذه الشجرة الاّ أن تكونا ملكين أو تكونا من الخٰلدين . وقاسمهما انّى لكما لمن النّصحين . فدلّٰهما بغرور فلمّا ذا قا الشجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنّة وناداهما ربّهما الم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما انّ الشيطٰن لكما عدوّ مّبين . قالا ربنا ظلمنا انفسنا و ان لم تغفرلنا وترحمنا لنكوننّ من الخٰسرين (٤٤).

يبدو بوضوح استسلام آدم و زوجه الى الحقيقة بعد أن وضعا تلك الحقيقة فى حيز التجربة ، عندما وسوس لهما الشيطان وحصل ماحصل، ولكن سرعان ما توجها الى التوبة وطلب الغفران من الله سبحانه وتعالى .

ومن الحقائق التى يفيض بها الفكر الفلسفى الاسلامى حقيقة ارسال الهدى والنور الى الانسان بعد ما تقرر اذن الهبوط الى الأرض عن طريق الانبياء والمرسلين فالذى يتبع هذا النور والهدى يكون قد وصل الى سدرة الصواب ، حيث الفوز المبين والأمن والطمأنينة، والعيش الرغيد فى دار الخلود والسلام ، أما الذى ينبو وينأى بجانبه عن هذا الهدى والنور ، فان موئلهم جهنم وبئس المصير .

قال تعالى :

قلنا اهبطوا منها جميعاً فإمّا يأتينّكم منّى هدًى فمن تبع هداى فلاخوف عليهم ولاهم يحزنون . والّذين كفروا وكذّبوا بآياتنآ أولئک اصحٰب النّار هم فيها خالدون (٤٥).

قال تعالى :

يٰبنىٓ آدم إمّا يأتينّكم رسل منّكم يقصّون عليكم آيٰتى فمن اتّقى وأصلح فلاخوف عليهم ولاهم يحزنون . والّذين كذّبوا بآياتنآ واستكبروا عنها أولٰئک أصحٰب النّار هم فيها خٰلدون(٤٦).

قال تعالى :

قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدوّ فإمّا يأتينّكم منّى هدًى فمن اتّبع هداى فلايضلّ ولايشقىٰ . ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيٰمة أعمى . قال ربّ لم حشرتنى أعمىٰ وقد كنت بصيرا . قال كذلک أتتک آياتنا فننسيتها وكذلک اليوم تُنسىٰ . وكذلک نجزى من أسرف ولم يؤمن بآيٰت ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقىٰ(٤٧).

وهنا تأتى اللفتة الالٰهية الباسقة الى بنى البشر جميعا ، بأن يتعظوا مما وقع فيه آدم عليه السلام عندما أزلّه الشيطان ووسوس له .

قال تعالى :

يٰبنىٓ آدم لايفتننّكم الشيطٰن كما أخرج أبو يكم من الجنّة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءٰتهما انّه يرىٰكم هو وقبيله من حيث لاترونهم انّا جعلنا الشيٰطين أوليآء للذين لايؤمنون(٤٨) .

ان الفكر الفلسفى الاسلامى هتف ونادى به جميع الانبياء والمرسلون ، ابتدأ بسيدنا نوح عليه السلام واختتم بخاتم الانبياء والمرسلين محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم .

قال تعالى :

وما نرسل المرسلين الا مبشّرين ومنذرين فمن ءامن وأصلح فلا خوف عليهم ولاهم يحزنو ن (٤٩).

قال تعالى :

رسلا مّبشّرين ومنذرين لئلاّ يكو ن للنّاس على الله حجة بعد الرّسل وكان الله عزيزاً حكيماً (٥٠) .

وقد اكتمل هذا الفكر فى آخر عهد خاتم الانبياء والمرسلين محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم حيث يقول البارئ عزّوجل فى هذا الصدد .

قال تعالى :

اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا (٥١).

ان هذا الفكر جميعه من عند الله سبحانه وتعالى وهو بمثابة الهدئ والنور والحكمة لكى يتفيأ فى ظلاله المتقون ويفوزوا بنعيمه فى دار السلام والخلود وليس لأحد من البشر مهما كانت صفته أن يزيد، أو ينقص ، أو ينقض شيئا من هذا الفكر ، او يأتى بشىءيناقض هذا الفكر ويزعم أن هذا الشىء من الفكر الاسلامى أو يمثل الفكر الفلسفى الاسلامى ، ويبدو ذلك بوضوح فى قول البارئ عزوجل مخاطبا رسوله محمدا بن عبدالله تارة، وتارة أخرى مخاطبا البشرية جمعاء ، بأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يأت بشىءمن عنده ، ولو أتى بشىء تقوّله على الله لوقع عليه العذاب المباشر من الله سبحانه وتعالى ، ولن يجد من ينصره من دون الله .

قال تعالى :

يَأيّها النّبىّ لم تحرّم ماَ أحلّ الله لک تبتغى مرضات

أزواجک والله غفور رحيم (٥٢).

قال تعالى :

فلآ أقسم بما تبصرون . وما لا تبصرون . انّه لقول رسول كريم . وما هو بقول شاعر قليلا مّاتؤمنون . ولا بقول كاهن قليلا مّاتذكّرون . تنزيل مّن رّب العٰلمين . ولو تقوّل علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين . ثم لقطعنا منه الوتين . فما منكم مّن أحد عنه حٰجزين (٥٣).

كما أن هذا الفكر قد تم ابلاغه من قبل المرسلين بصورة كاملة وافية لا يشوبها أى ضعف أو نقص .

قال تعالى :

عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً . الاّ من ارتضىٰ من رّسول فانّه يسلک من بين يديه ومن خلفه رصداً . لّيعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بمالديهم و أحصىٰ كلّ شىء عدداً (٥٤) .

لذلک فان الامام عليا كرم الله وجهه قد ذمّ اختلاف العلماء فى الفتيا، حيث قال : ,,ترد على أحدهم القضية فى حكم من الاحكام فيحكم فيها بخلافه ثم يجتمع القضاة بذلک عند الامام الذى استقضاهم ، فيصوب آراءهم جميعا والٰههم واحد ونبيّهم واحد وكتابهم واحد، أفأمرهم الله تعالى بالاختلاف فأطاعوه ام نهاهم عنه فعصوه ، أم أنزل الله دينا ناقصافاستعان بهم على اتمامه ، أم كانوا شركاء له ، فلهم أن يقولوا وعليه ان يرضى ، أم أنزل الله دينًا تاما فقصّر الرسول صلى الله عليه وعلى آله عن تبليغه وأدائه ، والله سبحانه يقول(ما فرّطنا فى الكتاب من شىء)، فيه تبيان لكل شىء، وذكر ان الكتاب يصدق بعضه بعضا ، وانه لا اختلاف فيه ، فقال سبحانه:

(ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيراً)(٥٥) .

وخلاصة القول فى هذا الموضوع أن الفكر الفلسفى الاسلامى قد تمّ تشويهه فى أذهـــان النـاس على مر الايام ، من مختلف الفئات المتعددة ، التى ارادت ان تطفئ هذا النور السماوى الساطع ، الذى بعثه المولى عزوجل رحمة منه للبشر جميعا ، هذا بجانب كثرة أعداء الحق على مر التاريخ ، الذين حاولوا بكل السبل والطرائق النيل من الحق المبين ، الذى يفوح بنسائمه الفكر الفلسفى الاسلامى ، ولكن كلمة الله سبحانه وتعالى قد سبقت واعتلت كل كيد وقول بحفظ هذا النور الباسق الساطع ـ مورد الحق والحقيقة ـ الـذى يمثـل الفـكر الفلسفى الاسلامى لجميع من اناب واستقام على درب الهدى من أن تناله يد البشر بالتبديل والتحريف .

هوامش

(١) د . أحمد فؤاد الاهوانى ، افلاطون ، ص ١٢٤ .

(٢) محمد مغنية، معالم الفلسفة الاسلامية ، بيروت ١٩٧٣ ، ص ١٤ .

(٣) د. فيصل عون ، الفلسفة الاسلامية فى المشرق ، القاهرة ، ١٩٨٢، ص ١٠٣ .

(٤) المصدر السابق ص ١٠٩ .

(٥) رسائل الكندى الفلسفة ، نشرة د . ابو ريده ، ص ٣٧ .

(٦) تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية ، مصطفى عبدالرازق ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الثالثة ، ص ٤٩ .

(٧) المصدر السابق ، ص ٥٤ ـ ٥٥ .

(٨) المصدر السابق ، ص ٥٧ ـ ٥٨ .

(٩) المصدر السابق ، ص ٧٧ .

(١٠) اسس الفلسفة والمذهب الواقعى ، العلاّمة السيد محمد حسين الطباطبائى دارالتعارف للمطبوعات ، بيروت ، ص ٤٤ ـ ٤٧ .

(١١) معالم الفلسفة الاسلامية ، محمد جواد مغنية ، الطبعة الثانية ، دارالقلم ، بيروت ، ١٩٧٣ ، ص ١٤ .

(١٢) James, A. Baley, etal. Physical Education and the Physical Educator, Boston. 1976. PP. 225.

(١٣) William A. Harper, etal. The Philosophic Process in Physical Education. U.S.A, 1979. PP. 98.

(١٤) تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية ، مصطفى عبدالرازق ، الطبعة الثالثة مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة، ص ٧٧ .

(١٥) رسالة الكندى فى الفلسفة الاولى ، ص ١٠٤ .

(١٦) William H. Freeman, Physical Education in a changing Society. U.S.A. 1977. PP. 129.

(١٧) المصدر السابق ، ص ١٣٢ .

(١٨) المصدر السابق ١٣٤ .

(١٩) المصدر السابق ، ص ١٣٦ .

(٢٠) المصدر السابق ، ص ١٤٠ .

(٢١) تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية ، مصطفى عبدالرازق ، الطبعة الثالثة ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة، ١٩٦٦ .

(٢٢) المصدر السابق ، ص ٤٣ .

(٢٣) المصدر السابق ، ص ٩٨ .

(٢٤) دراسات فى الفكر الفلسفى الاسلامى ،د . حسام الدين الالوسى ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٨٠ ، ص ١٠٦ .

(٢٥) تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية، مصطفى عبدالرازق ، الطبعة الثالثة ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٦ ، ص ٥ .

(٢٦) المصدر السابق ، ص ٨ ـ ٩ .

(٢٧) مفيد العلوم ومبيد الهموم ، الخوارزمى ، المطبعة الشرقية ، ١٣٢٨ هـ ص ٦١ ـ ٦٢ .

(٢٨) تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسـلامية، مصطفى عبدالرازق ز مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ص ١٢٠ .

(٢٩) المصدر السابق ، ص ٨٣ .

(٣٠) المصدر السابق ، ص ٨٣ .

(٣١) رسالة التوحيد، محمد عبده ، الطبعة الاولى ، ١٣١٥ هـ ص ١٣ .

(٣٢) تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية ، ص ٨٦ ـ ٨٧ .

(٣٣) المصدر السابق ، ص ٨٨ .

(٣٤) الفلسفة الاسلامية فى المشرق ، د. فيصل بدير عون ، جامعة عين شمس ، مكتبة الحرية الحديثة ، ١٩٨٢ ، ص ٤١٢ .

(٣٥) التأملات ، ديكارت ، ترجمة د. عثمان امين ، مكتبة القاهرة ، ١٩٥٦ .

(٣٦) فلسفتنا محمد باقر الصدر ، دارالتعارف للمطبوعات ، بيروت ، ١٩٨٠ ، ص ١٤٩ .

(٣٧) سورة الأعراف ، آية ١١ .

(٣٨) سورة ص ، آية ٧١ـ ٧٢ .

(٣٩) سورة ص ، آية ٧٥ـ ٨٣ .

(٤٠) سورة طه ، آية ١١٧ .

(٤١) سورة الاسراء ، آية ٦١ ـ ٦٥ .

(٤٢) سورة الكهف ، آية ٥٠ .

(٤٣) سورة الاعراف ، آية ١٢ ـ ١٧ .

(٤٤) سورة الاعراف ، آية ١٩ ـ ٢٣ .

(٤٥) سورة البقرة ، آية ٣٨ ـ ٣٩ .

(٤٦) سورة الاعراف ، آية ٣٥ ـ ٣٦ .

(٤٧) سورة طه ، آية ١٢٣ ـ ١٢٧ .

(٤٨) سورة الاعراف آية ٢٧.

(٤٩) سورة الانعام ، آية ٤٨ .

(٥٠) سورة النساء آية ١٦٥ .

(٥١) سورة المائدة ، آية ٣ .

(٥٢) سورة التحريم ، آية ١ .

(٥٣) سورة الحاقة ، آية ٣٨ ـ ٤٧ .

(٥٤) سورة الجن ، آية ٢٦ ـ ٢٨ .

(٥٥) النساء ٤ الآية ٨٢ ، نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الجزء الأول ، ص ٥٤ .